العدد الثاني - آب/ أغسطس 2017

1 Aug 2017

قلمون

للدراسات والأبحاث الفكرية
والاجتماعية والسياسية

فصلية محكّمة يصدرها مركز حرمون للدراسات المعاصرة

ملف العدد
الأكراد، تاريخهم، ثقافتهم

Kalamoon

for Cultural, Social and Political
Studies and Researches

مركز حرمون
للدراسات المعاصرة
HARMOON CENTER
FOR CONTEMPORARY STUDIES

مركز حرمون للدراسات المعاصرة

مركز حرمون للدراسات المعاصرة هو مؤسّسة بحثية وثقافية وإعلامية مستقلة، لا تستهدف الربح، تُعنى بشكل رئيس بإنتاج الدراسات والأبحاث المتعلقة بالمنطقة العربية، خصوصًا الواقع السوري، وتهتم بالتنمية الثقافية والتطوير الإعلامي وتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي وتعميم قيم الحوار واحترام حقوق الإنسان، إلى جانب تقديم الاستشارات والتدريب في الميادين السياسية والإعلامية للجهات التي تحتاج إليها.

يعمل مركز حرمون للدراسات المعاصرة لتحقيق أهدافه من خلال مجموعة من الوحدات التخصّصية (وحدة دراسة السياسات، وحدة الأبحاث الاجتماعية، وحدة مراجعات الكتب، وحدة الترجمة والتعريب، وحدة المقاربات القانونية، وحدة النشر والإصدارات، وحدة الدراسات الاقتصادية)؛ وعددٍ من برامج العمل (برنامج المبادرات السياسية، برنامج الإعلام والصحافة، برنامج دعم الحوار وتنمية الثقافة، برنامج مستقبل سورية، برنامج الشهادات والتوثيق، برنامج التأهيل والتدريب، برنامج جوائز المركز). ويعتمد المركز آليات متعدِّدة في إنجاز برامجه، كالمحاضرات وورشات العمل والندوات والمؤتمرات والدورات التدريبية والنشر الورقي والإلكتروني.

أُسِّس مركز حرمون للدراسات المعاصرة على أيدي أكاديميين ومثقفين وإعلاميين وفنانين سوريين يسعون لتقديم الفائدة في نواحٍ متنوعة؛ ويتألف مجلس أمناء المركز من أحد عشر عضوًا: الدكتور خضر زكريا، الدكتور يوسف سلامة، الدكتور يوسف بريك، الأستاذة واحة الراهب، الدكتور مروان قبلان، الدكتور حازم نهار، الأستاذة ديما عز الدين، الأستاذ سمير سعيفان، الأستاذ حبيب عيسى، الأستاذ عبد الحكيم قطيفان، الأستاذ غسان الجباعي.

قلمون
للدراسات والأبحاث الفكرية
والاجتماعية والسياسية

مجلة قلمون للدراسات والأبحاث

مجلة "قلمون" للأبحاث والدراسات الفكرية والاجتماعية والسياسية هي مجلة بحثية علمية محكّمة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر عن مركز حرمون للدراسات المعاصرة، لها رقم دولي معياري (ISSN: 25481339). وتُعنى المجلة بنشر الأبحاث والدراسات الفكرية والاجتماعية والسياسية ومراجعات الكتب، ويتضمن كل عدد منها ملفًا رئيسًا ومجموعة من الأبواب الثابتة. وتستند "قلمون" إلى أخلاقيات البحث العلمي وقواعد النشر المعتمدة عالميًا، وإلى نواظم واضحة في العلاقة مع الباحثين، كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عملية التحكيم.

تطمح "قلمون" إلى طرق أبواب جديدة عبر إطلاق عملية فكرية بحثية معمّقة أساسها إعمال النقد والمراجعة وإثارة الأسئلة، وتفكيك القضايا، وبناء قضايا جديدة اعتمادًا على التجاوز والتخطي الدائمين. وتولي "قلمون" التفكير النقدي أهمية كبرى بوصفه أداة فاعلة لإعادة النظر في الأيديولوجيات والاتجاهات والمقاربات المنهجية المختلفة لقضايا الفكر والواقع، وتهتم المجلة ببناء حوار تجسيري بين المفكرين والباحثين السوريين والعرب، المعاصرين والسابقين.

ويشير اسم المجلة "قلمون" إلى التنوع والاختلاف؛ فكلمة "قلمون" في اللغة العربية تعني ثوبًا يتراءى، إذا طلعت عليه الشمس، بألوان شتى، فضلًا عن إشارتها إلى منطقة جغرافية في سورية ولبنان.

مركز حرمون
للدراسات المعاصرة
Harmoon Center
For Contemporary Studies

قلمون

للدراسات والأبحاث الفكرية
والاجتماعية والسياسية

فصلية محكّمة يصدرها مركز حرمون للدراسات المعاصرة

العدد الثاني - آب/ أغسطس 2017

لا تعبّر آراء الكتّاب بالضرورة عن اتجاهات يتبناها
«مركز حرمون للدراسات المعاصرة» أو «مجلة قلمون للدراسات والأبحاث»

Kalamoon

for Cultural, Social and Political
Studies and Researches

مدير مركز حرمون للدراسات المعاصرة
حازم نهار

رئيس التحرير
يوسف سلامة

سكرتير التحرير
حسام السعد

أعضاء هيئة التحرير
بدر الدين عرودكي
رشيد الحاج صالح
عبد الباسط سيدا
عبد الله تركماني
عزام أمين
مناف الحمد
منير الخطيب

أعضاء الهيئة الاستشارية
أحمد برقاوي
أحمد حاجي صفر
جاد الكريم الجباعي
خضر زكريا
ريمون معلولي
عزيز العظمة
يوسف بريك

الغلاف واللوحات الداخلية: خضر عبد الكريم
الإشراف اللغوي: سلاف علوش، سماح حكواتي
الإخراج الفني: كرم الكسيري، مجدي داؤد

الناشر

مركز حرمون
للدراسات المعاصرة
HARMOON CENTER
FOR CONTEMPORARY STUDIES

هاتف
الدوحة، قطر: +974 44 885 996
غازي عنتاب، تركيا: +903 4232 65 112

صندوق البريد: 22663 الدوحة، قطر
27000 غازي عنتاب، تركيا
البريد الإلكتروني: info@harmoon.org
الموقع الإلكتروني: www.harmoon.org

جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
على البريد الإلكتروني الآتي:
kalamoon@harmoon.org

ISSN 26023784
9 770260 237843

© جميع الحقوق محفوظة لمركز حرمون للدراسات المعاصرة
آب/ أغسطس 2017

المحتويات

8-	الحياة الدينية والثقافية للإيزيديين الكرد السوريين	أحمد حسن	257

الحياة الدينية والثقافية للإيزيديين الكرد السوريين

أحمد حسن

المحتويات

مقدمة 259
أولًا: أصل التسمية والديمغرافيا 259
1- أصل التسمية 259
2- الديمغرافيا 261
ثانيًا: أماكن توزّعهم في الجزيرة وجبل الكرد (كرد داغ) 262
ثالثًا: اللغة والانتماء القومي 263
رابعًا: الأصول 264
خامسًا: المجتمع الإيزيدي ومعتقداته 266
1. المجتمع الإيزيدي 266
2. المعتقد 267
3. طاووسي مَلك (طاووس الملائكة) 268
4. عدي ين مسافر 269
سادسًا: الممارسات الدينية 271
1- الصلاة (الدعاء) 271
2- الصيام 272
3- الطواف بالطاووس (السنجق) 273
4- المحرّمات 274
5- الأعياد 274
سابعًا: العادات الاجتماعية 275
1- الزواج 275
2- الكرافة (كريفاتي) 276
3- الموت والدفن 276
ثامنًا: المعتقدات الشعبية 277
1- أسطور الخلق 278
2- الموسيقا والغناء 280
تاسعًا: محطات في تاريخ الإيزيدية في سورية 284
خاتمة 286
المصادر والمراجع 287
1- المراجع باللغة العربية 287
المراجع بلغة أجنبية 288

ملخص البحث

يبدأ هذا البحث بتعريف موجز بالإيزيدية التي تُعدّ ديانة باطنية، أتباعها معظمهم من الكرد. يلي ذلك عرض للتسميات المختلفة (العدوية واليزيدية واليزدانية والإيزيدية والداسنية) التي أُطلقت على أبناء هذه الملّة مع بيان سبب كل تسمية على حدة. ثم يتناول البحث إيزيديي سورية من الناحية الديمغرافية (أماكن توزعهم في الجزيرة السورية ومنطقة جبل الكرد/ كرد داغ وتعداد نفوسهم والهجرة الخارجية). وبعدها يتطرّق إلى لغة الإيزيديين (الكردية الكرمانجية) وهويتهم وانتمائهم القومي. ويناقش بعد ذلك الآراء والنظريات المختلفة في أصول الديانة الإيزيدية ونشأتها، يليها وصف المجتمع الإيزيدي وطبقاته (الأمير والشيوخ والپيرة والقوّالون والفقراء). وبعد هذا، يتناول البحث دراسة المعتقد الإيزيدي، وأهم رموزه (إيزي/ إيزيد وطاووس مَلك والشيخ عدي/ شيخادي). ثم يأتي البحث على وصف الممارسات الدينية عند الإيزديين من صلاة (دعاء) وصيام وطواف للطاووس (السنجق)، وكذلك بيان بعض المحرمّات المتعلّقة بالمأكل والملبس والآداب العامة، ووصف الأعياد وطقوس الاحتفال بها. ثم يعرّج البحث على عرض بعض العادات الاجتماعية لدى الإيزيديين (الزواج والكرافة ودفن الموتى) ووصف بعض المعتقدات الشعبية من مثل تقديس أماكن وآثار الأولياء والصالحين، والتقرب إليهم بالذبح أو النذر لهم، والطواف على قبورهم والتبرك بها لقضاء الحاجات الدينية أو الدنيوية. وأخيرًا وليس آخرًا يتناول البحث أسطورة الخليقة الإيزيدية التي تندرج ضمن الإطار العام لأساطير الخلق التي تبدأ فيها عميلة خلق العالم وتكوينه انطلاقًا من المياه الأولى. ويتناول البحث كذلك الموسيقى والغناء مبرزًا دورهما في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية لدى الإيزيديين. وقبل الختام يذكّر البحث بمحطات مهمة في تاريخ الإيزيدية في سورية. أمّا خاتمة البحث فتتناول مستقبل هذه الديانة في سورية في ظل الهجرة المتزايدة، وجهل أتباعها كثيرًا بأمور دينهم، وعزوف الشباب الإيزيدي عن الالتزام ببعض التعليمات والشرائع التي فرضها الدين عليهم.

مقدمة

الإيزيدية (اليزيدية) جماعة دينية صغيرة أتباعها معظمهم من الكرد، ولها معبد وحيد يقع في وادي لالش في منطقة الشيخان في كردستان العراق. وهي ديانة باطنية منغلقة على نفسها، شاع عنها (عبادة الشيطان)، الأمر الذي أثار فضول الرحّالة والصحافيين حولها، ولفت عناية الباحثين والدارسين إليها، فكتبوا في أحوال ماضيها وحاضرها، وتناولوها بالبحث والدراسة والتحليل. غير أن المهتمين بالشأن الإيزيدي اختلفت آراؤهم، وتضاربت أقوالهم في كثير من المسائل المتعلقة بهذه الديانة. وغالبًا ما ركّزت الأبحاث والدراسات على تجمعاتهم الكبرى الواقعة ضمن إقليم كردستان في شمال العراق، بينما كان حظّ المجتمعات الإيزيدية الأخرى من الدراسة والبحث أقلّ كثيرًا. وعلى الرغم من أن الخطوط العامة للمعتقد الإيزيدي هي ذاتها، فإنّ لإيزيدية كلّ بلد خصوصيتهم التي تتجلّى في بعض تفاصيل الطقوس المرافقة للولادة والزواج والوفاة، وكذلك في بعض العادات والأعراف المتّبعة.

وغرضنا في هذا البحث هو محاولة إظهار خصوصية الإيزيدية في سورية في بعض جوانبها.

أولًا: أصل التسمية والديمغرافيا

1- أصل التسمية

يُطلق على أبناء هذه الملّة كثير من التسميات، من مثل العدوية واليزيدية واليزدانية والإيزيدية والداسنية وغيرها. فقد عُرف الإيزيديون في المصادر العربية الإسلامية أول ما عُرفوا بالـ (العدوية) نسبةً إلى الشيخ عدي بن مسافر الصوفي المعروف، مؤسّس الطريقة العدوية التي يعدّها فريق من الباحثين أصل الملّة الإيزيدية (اليزيدية)، وبهذا الصدد يقول أحمد تيمور باشا في كتابه (اليزيدية ومنشأ نحلتهم): «كانت تسمَّى في أوّل الأمر بالعدوية نسبة إلى شيخها، أما تسميتها بعد ذلك باليزيدية فلم نقف على زمنها، والظاهر أنها حدثت في القرون الأخيرة»[1]. وإذا كانت تسمية العدوية سابقةً على اليزيدية، فإنّ هذه الأخيرة هي الأكثر استعمالًا وشيوعًا بين المؤرّخين والباحثين، ولا سيّما العرب منهم.

على أن الباحثين اختلفوا في تعليل تسمية الإيزيديين بـ (اليزيدية): فمنهم من رأى فيها نسبةً إلى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، على افتراض أنهم كانوا مسلمين في ما مضى، ثمّ ابتعدوا عن الإسلام مع مرور الزمن حتى صاروا طائفة مستقلة عن الإسلام. ومنهم من أرجع هذه النسبة إلى مدينة (يزد) الإيرانية التي كانت مركزًا للديانة الزردشتية. وقد ذهب بعضهم إلى أن التسمية مأخوذة من كلمة (يزدان) التي تعني الذات الإلهية في كل من اللغتين الكردية والفارسية[2].

---

[1] أحمد تيمور باشا، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، (القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014)، ص47.

[2] عز الدين سليم باقسري، مه رگه، ط1، (كردستان، مطبعة خبات، 2003)، ص25.

أمّا المؤرخون والباحثون الكرد المسلمون، فإنّ قسمًا منهم تجنّب استخدام لفظة (اليزيدية)، ومن ثَمَّ نسبتهم إلى يزيد بن معاوية، في مؤلّفاتهم وكتاباتهم التي تعالج ديانة أبناء جلدتهم، نظرًا إلى ما تحمله هذه التسمية من دلالة قومية ومذهبية. فقد ذكرهم شرف خان البدليسي في كتابه (شرفنامه - تاريخ الدول والإمارات الكردية) تحت تسمية (اليزيدية) تارةً و(اليزدانية) تارةً أخرى. يقول صاحب (شرفنامه): «وقد كان هؤلاء ينتحلون في بدء عهدهم النحلة اليزيدية – اليزدانية»، وفي موضع آخر يقول: «إن عشيرة الدنبلية كانت تعتنق قبل اعتناقها الإسلام النحلة اليزدانية»[3]، بينما يشير إليهم إحسان نوري باشا باسم (أَيزدي) في كتابه الموسوم (تاريخ ريشه نژاد كرد): «اشتهروا بالأيزدية والكورد يسمونهم بـ(أيزدي) بينما العرب والقوميات الأخرى يسمونهم باليزيدية»[4]، والتسمية ذاتها نجدها عند جلادت بك بدرخان الذي نشر كتيبًا باللغة الكردية بعنوان Nivêjên Êzîdiyan (صلوات الإيزديين)[5].

وأمّا الباحثون الإيزيديون، فإنّهم جميعًا بلا استثناء يدعون ديانتهم بـ (الإيزيدية/ الأَيزيدية) مستندين في ذلك إلى (الأقوال) الدينية المتداولة في مأثورهم الشفاهي المعروف بـ (علم الصدر الإيزيدي) التي تؤكّد مرارًا أن (إيزيد/ أيزيد) اسم من أسماء الله الحسنى. لنقرأ، على سبيل المثال، مقطعًا من قول (سلافيت جه بيرا):

السلطان إيزيد هو المَلك

له ألف اسم واسم

أعظمها هو (خودا)/ الله

ومقطعًا آخر من قول (شيخ آدي شيخێ شارا):

نستمد ديننا وإيماننا من ذلك المجلس

وحقيقتنا من ذلك المجمع المقدّس

إنّ إيزيد نفسه هو الله تعالى [6]

ومن الأسماء التي عُرف بها الإيزيديون (الداسنية)، وقد أُطلق هذا الاسم على إيزيدية منطقة الشيخان بوجه خاص، والداسنيون هم الكرد الذين كانوا يعيشون في سلسة جبال داسن التي تُعرف حاليا بجبال المزورية [7]. حول هذه التسمية

---

[3] عز الدين باقسري، مه رگه، ص20.

[4] عدنان زياد فرحان، الكرد الإيزيديون في إقليم كردستان، (السليمانية، منشورات مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، 2004)، ص7-8.

[5] علي سيدو الگوراني، من عمان إلى العمادية، ط2، (أربيل، دار آراس للطباعة والنشر، 2012)، ص194.

[6] عز الدين باقسري، ص29-30.

[7] - صديق الدملوجي، اليزيدية، (الموصل، مطبعة الاتحاد)1949، ص175.

يقول الباحث الإيزيدي عز الدين سليم باقسري: «يسمى الأيزدية بالداسنية أيضًا نسبة إلى ديانتهم القديمة (مزده يه سنا) وإن داسني يعني أتباع الحق أو أتباع الطريق المستقيم وهم المزدايسنيون»[8]. وهناك قرية في سورية اسمها (أكراد الداسنية) بالقرب من مدينة حمص، يذكّرنا اسمها باسم قبيلة (الداسنية) الإيزيدية، ويقول عنها الكردولوجي الفرنسي روجيه ليسكو في كتابه (اليزيدية في سورية وجبل سنجار) أنّ سكّانها كانوا يتحدّثون الكردية منذ أجيال عدة[9].

2- الديمغرافيا

ارتبط وجود الإيزيدية تاريخيًا بدول العراق وتركيا وسورية، وهناك أعداد منهم في أرمينيا وجورجيا، ولهم جاليات في الشتات وبصورة خاصة في ألمانيا.

تعيش أغلبية الإيزيديين ضمن إقليم كردستان، وأكبر تجمعاتهم السكانية هي تجمّع الشيخان الواقع شمال شرق الموصل حيث يوجد مركزهم الديني وتجمّع سنجار غرب الموصل[10]. وفي تركيا يقتصر وجودهم حاليًا على عدد قليل من العائلات بعد أن غادر معظمهم إلى ألمانيا في العقود الأخيرة من القرن العشرين، هربًا من الحرب الدائرة بين الجيش التركي وحزب العمال الكردستاني. أمّا وجودهم في إيران فينحصر في بضع قرى. وفي القوقاز نجد الفرع الآخر من العالم الإيزيدي، في أرمينيا وبدرجة أقل في جورجيا، وهم ينحدرون من القبائل الإيزيدية التي فرّت من الأناضول والتجأت إلى البلاد المسيحية في القرن التاسع عشر[11].

أما في سورية، فإنهم يتوزعون في مجموعتين رئيسيتن منفصلتين، تقطن إحداهما في منطقة الجزيرة الفراتية وتشغل الأخرى منطقة جبل الكرد (كرد داغ)[12].

لا توجد إحصاءات رسمية دقيقة حول أعداد الإيزيديين في سورية، لذلك نجد تضاربًا كبيرًا في تقدير عدد نفوسهم، ففي حين يذكر الباحث سيباستيان مايسل في دراسته المعنونة (يزيدية سورية في كرد داغ والجزيرة) أنّ هذا العدد لا يتجاوز

---

[8] - عز الدين باقسري، ص32.

[9] - روجيه ليسكو، **اليزيدية في سورية وجبل سنجار**، أحمد حسن (مترجم)، ط1، (دمشق، دار المدى، 2007)، ص 138، الهامش رقم 39.

[10] روجيه ليسكو، اليزيدية في سورية، ص 5.

[11] Allan Kaval, les yézidis,entre nationalisme kurde et identité réinventée d'une minorité religieuse:11/12/2013
http://www.religion.info/2013/12/11/analyse-les-yezidis-entre-nationalisme-kurde-et-identite-reinventee/

[12] Ibid. p.229.

10000 نسمة [13]، يؤكّد فرماز غريبو رئيس جمعية (كانيا سبي) الإيزيدية، أنه قام شخصيًا بزيارة قرى الإيزيدية وأجرى إحصاءً بلغ فيه عدد نفوسهم 50000 نسمة [14]. بينما يقدّر الباحث آلان كافال تعدادهم بنحو 15000نسمة [15].

من المؤكّد أن تعرّض عدد من القرى الإيزيدية إلى هجمات بعض الفصائل المتطرّفة بذريعة (محاربة الكفّار) [16] كان من جملة الأسباب التي رفعت وتيرة الهجرة بينهم في السنوات الأخيرة، الأمر الذي أدّى إلى تناقص حاد في أعدادهم.

ثانيًا: أماكن توزّعهم في الجزيرة وجبل الكرد (كرد داغ)

ينتشر إيزيدية الجزيرة في ثلاثة جيوب، يتألّف كل منها من عدد من القرى، أولها في وادي الجراح شمال غرب القامشلي ويضم بلدة القحطانية (تربسپيه) وقرى دريجيك ومزكفت وتل خاتون واوتلجة وآلارشا؛ وثانيها في المنطقة الواقعة بين الحسكة وعامودا، وتشمل قرى خربة خدر وتل طويل والسليمانية وطولكو وزيديه وبرزان وجديده وتل طيار وقمر وقمر غربي وتل أسود ومحمود‌يه وعنتريه وموريك وناصريه وخربة جميل وآفكرا وهيشريه ومحك وموزكو وخربة ديلان وبورسعيد وخربة غزال وخربة خوي وكوليه ومركب وخربة فقيرا وقزلجوك وكوندور وكرنكو ودوكرك وجتله؛ وأما آخر هذه الجيوب فيشمل عددًا من القرى الواقعة بالقرب من مدينة رأس العين (سري كانيه) على طول نهر الخابور، وهي الأسدية وتل شكر وتل بيدر ومريكيس وجان تمر ولزكه وشكريه وجافه ودرديرا وتليليه وأبو جراد وتل نايف وخربة بطانه وتل خنزير[17].

أمّا مناطق انتشار إيزيدية جبل الكرد فهي منطقة الشكاك التي تضم قرى قسطل جندو وبافليون وقطمة وسينكا؛ ومنطقة الجومه التي تشمل قرى فقيرا وغزوية وعرش قيبار وطورندة وجقلي جومه وشحدر وإسكان وعين دارا وإشكان شرقي وكفر زيت؛ ومنطقة شراوا التي تضم قرى باسوفان وكيمار وكوندي مزن (زوق الكبير). وهناك عائلات إيزيدية تقيم في البلدات والمدن الآتية: برج عبدالو وباعي وعلي ايقين وقوقامان وإعزاز وعفرين وحلب [18].

---

[13] Sebastian Maisel, Syria's Yezidis in the Kūrd Dāgh and the Jazīra, The Muslim World, Volume 103, JANUARY 2013, p.2.

[14] فرماز غريبو، (الإيزيديون في سورية) على موقع الديمقراطي:

http://www.dimoqrati.info/?p=7938

[15] Allan Kaval, ibid.

[16] جابر جندو، واقع الطائفة الإيزيدية في سورية، مجلة صور، السنة الثانية، العدد 10، آب/ أغسطس 2014، ص 25.

[17] Sebastian Maisel, p. 3.

[18] Ibid.

ثالثًا: اللغة والانتماء القومي

يتحدّث إيزيدية سورية الكرمانجية الشمالية التي تعدّ من حيث عدد الناطقين بها اللهجة الأهم بين لهجات اللغة الكردية، ويستخدمونها في صلواتهم وأدعيتهم وطقوسهم الدينية كلها. وللإيزيدية كتابان مقدسان هما الجلوة والمصحف الأسود (مصحفا رَش)، مكتوبان باللغة الكردية وبأبجدية كردية قديمة تدعى الأبجدية (الماسي سوراتية). والكردية ليست لغة العبادة في الديانة الإيزيدية فحسب، وإنّما هي لغة الإله والجنة أيضًا [19]، فقد «تحدّث الله مع آدم ومع المَلك طاووس (طاووسي ملك) بهذه اللغة الكردية الرائعة ولهذا السبب كُتب المصحف الأسود بالكردية» [20].

صحيح أنّه لم تظهر لدى إيزيدية سورية دعوات -كتلك التي ظهرت لدى فئة من إيزيدية العراق وأرمينية- تنادي باللغة الإيزيدية (إيزيدي/ إيزيدكي) المستقلة أو بالهوية الإيزيدية المستقّلة من خلال تأكيد المحدّد الديني الذي يميّزهم عن الكرد المسلمين. ومع هذا فقد برزت أصوات إيزيدية تدعو -على الرغم من إقرارها المتردّد بقوميتها الكردية- إلى الاعتراف بالوجود الإيزيدي في سورية والتعامل مع الإيزيديين بوصفهم مكوّنًا قائمًا بذاته والكفّ عن إطلاق تسمية (الكرد الأصلاء) عليهم [21]. تعود هذه التسمية -في ظننا- إلى ثلاثينيات القرن المنصرم عندما كانت جمعية (خويبون/ الاستقلال)[22] القومية الكردية في المنفى تحاول كسب الإيزيديين في سورية إلى جانبها، وقد أخذ الأخوان جلادت وكاميران بدرخان[23] يروّجان من خلال صفحات مجلة (هاوار) لمقولة أن الإيزيدية هي (الدين الحقيقي للكرد)، وأنها كانت (ديانة الكرد كلهم) قبل وصول الإسلام إلى كردستان، وأنّ الإيزيديين يمثّلون الأصالة الكردية لأنهم حافظوا على دينهم على الرغم من تعرّضهم لحملات الاضطهاد من العثمانيين والكرد المسلمين لفرض الإسلام عليهم بالقوة [24].

---

[19] عدنان زياد فرحان، ص 10.

[20] Jordi Tejel Gorogas, Le mouvement kurde de Turquie en Exil, Bern, Peter Lang, 2007, p. 210.

[21] فرماز غريبو، الإيزيديون المهمّشون ووباء (الكرد الأصلاء)، على موقع بحزاني 13-12-2015
http://www.bahzani.net/services/forum/showthread.php?113314

[22] تأسّست جمعية (خويبون/ الاستقلال) عام 1927، وكان هدفها الرئيس ترويج القضية القومية الكردية وإدارة النشاط الكردي ضد الترك. وقد أسّست هذه الجمعية مراكز للنشـــاط القومي الكردي في عدد من المدن خارج ســـورية، في القاهرة وباريس وديتروويت وفيلادلفيا. انظر: وديع جويده، الحركة القومية الكردية، نشأتها وتطورها، مارتن بروينسن (مقدّم)، مجموعة مترجمين، الفارابي، غزي برو (مدقق)، ط1(بيروت، 2013)، ص 352.

[23]- جلادت بدرخان: (1893-1951) هو ابن أمين عالي بدرخان (حفيد بدرخان باشا)، ولد في اسطنبول، ونشأ في العاصمة العثمانية ودرس في مدارسها الابتدائية والثانوية متنقلًا بين ولايات عثمانية عدة، مرافقًا لوالده آنذاك، وبعد الحكم عليه بالإعدام من النظام الكمالي الجديد، توجه إلى بيروت إذ شـارك في المؤتمر الاول لرابطة خويبون عام 1927م.

كاميران بدرخان: (1895-1978) شقيق جلادت، ولد في إسطنبول، وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها، وكان مجازًا بالحقوق من جامعة إسطنبول. بات كاميران ممثلًا لخويبون في بيروت، وصـار في ما بعد المحرك الآخر للثقافة الكردية باللهجة الكرمانجية، وظل كاميران خلال السـنين التي أمضـاها في فرنسـا مدافعًا عن القضية الكردية لدى الدول الغربية الكبرى. نقلًا عن: مهند الكاطع، بواكير الحركة السياسية الكردية في سورية، على موقع معهد العالم للدراسات 20-12-2016: http://alaalam.org/ar/politics-ar/syria-ar/item/450

[24] Jordi Tejel Gorogas, p209-2011.

رابعًا: الأصول

وكما اختلفت آراء الباحثين في تعليل تسمية الإيزيديين وتقدير عدد نفوسهم، فقد اختلفت وتباينت حول نشأة الديانة الإيزيدية؛ فهناك باحثون رأوا فيها امتدادًا لديانات قديمة (مزدكية ومانوية وميثرائية وزرادشتية). ومنهم من أرجع بعض معتقداتهم إلى أصول مسيحية، ورأى أن مقام الشيخ عادي (شيخادي) كان ديرًا للنساطرة الذين كانوا يسكنون في تلك المنطقة. ومنهم من عدّها فرقة إسلامية ضالّة انحرفت عن أصلها القديم حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم. في ما يأتي نورد نماذج من تلك الآراء المتباينة:

من جملة الذين قالوا بالأصول الزردشتية للإيزدية الكاتب أنور المائي الذي يؤكّد أنّ: «اليزيدية هي بقية الديانة الزردشتية القديمة التي كانت ديانة الأكراد لحين ظهور الإسلام مع إضافة بعض العقائد والطقوس والاصطلاحات الجديدة إليها ونقص بعض الفروع منها وذلك شأن باقي الديانات التي تسرّبت إليها عقائد واصطلاحات جديدة ليست منها وحذفت منها أمور كثيرة» [25].

ومن بين أصحاب الرأي القائل بالأصل المانوي لهذه الديانة نجد المؤرخ صديق الدملوجي الذي يرى أن الإيزيديين: «كانوا قديمًا على المانوية يعتقدون بثنوية الآلهة والإباحية والحلول، وقد ظلوا على هذه العقيدة ولم تؤثّر فيهم دعوة الإسلام ولم ينقادوا لها حتى أدركهم الشيخ عدي بن مسافر الأموي... فهداهم إلى الإسلام وخلّصهم من شرك الوثنية....» [26].

وحول نظرية الأصل المسيحي لملّة (طاووسي مَلك)، يقول الباحث بيرگول آچكيلدز: «إن المصادر المسيحية الشرقية كان لها تفسير مختلف للأمر. فهي ترى أن الإيزيدية كانوا في الأصل مسيحيين، لكن الجهل أوصلهم إلى ما هم عليه الآن. ويبدو أن تلك المصادر استندت في استنتاجها هذا على ممارسة الإيزيدية للمعمودية وتحليلهم لشرب الخمر، يُضاف إلى ذلك أن أغلبية الإيزيدية الذين يقطنون في منطقة الموصل كانوا يُعرفون باسم داسنابي/ داسنيات. وقد كانت هناك أبرشية نسطورية بهذا الاسم، اختفت مع ظهور الإيزيدية في تلك الأنحاء» [27].

أمّا الباحث جورج حبيب الذي يعدّ الإيزيدية خليطًا من العبادة الشمسية – الميثرائية البابلية فيقول: «نشأت في هذه البقعة من الأرض (وادي الرافدين) عبادة شمسية ميثرائية مقترنة بعبادة نابو... الذي يُرمز له باسمه الآرامي (طاووس ملكا)

---

[25] عز الدين باقسري، ص19.

[26] صديق الدملوجي، ص ل من المقدمة.

[27] Birgül Açikyldiz, Les Yézidis et le sanctuaire du Šeykh ʻAdī, Mémoire de D.E.A. d'Histoire de l'Art Islamique,Tome I, UNIVERSITÉ DE PARIS I PANTHÉON-SORBONNE,septembre 2002, p.20,

... ويمكن اعتبار نشوء هذه العبادة البابلية الإيرانية (الشمسية المزدوجة) بداية لقيام الدين اليزيدي الذي نعرفه اليوم» [28].

في حين إن الباحث والمؤرّخ سعيد الديوجي يجزم بأنّ الإيزيدية: «فرقة إسلامية، كانت تدعو باسم الدين لإعادة الخلافة إلى بني أميّة، ثم دخلها من التطرّف والغلوّ، ما جعلها خارجة عن الإسلام» [29].

لكن ما رأي الإيزيديين حول الموضوع؟ وما روايتهم التي تفسّر أصلهم؟ يقول الباحث العراقي رشيد الخيون بهذا الصدد: «يعتقد الأيزيديون -كغيرهم من أهل الأديان- أنّهم شعب الله المختار، أو الأمة المصطفاة، لكن بطريقة أخرى وفريدة من نوعها. لما اعتقدوا أنهم ولدوا من ماء آدم فقط، من دون ماء حواء. فبعد الجدل بين الزوجين بأيهما يلتحق النسل قررا الاستمناء في جرتين منفردتين، وبعد تسعة أشهر تمخّضت جرة آدم عن (شيت وهورية)، ومنهما تناسلت الأمة الأيزيدية. أما جرّة حواء فتمخضّت عن ديدان فقط، بينما الأمم الأخرى كافة، حسب العقيدة الأيزيدية، هم من جماع آدم وحواء» [30].

على الرغم من الأبحاث والدراسات الكثيرة التي تناولت نشأة الإيزيدية ومراحل تطورها، فإنّ الغموض ما زال يكتنف أصول هذه الديانة ومنابعها ولا يمكننا إعطاء رأي قطعي بشأنها، لكن من المفيد هنا أن نذكّر بأن الإيزيدية كرد في أغلبيتهم، ويشتركون مع الكرد المسلمين في كثير من المعتقدات والممارسات التي لا تمتّ إلى الإسلام التقليدي بصلة.

---

[28] عز الدين باقسري، ص19.

[29] سعيد الديوه جي، اليزيدية، ط1، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003)، ص 14.

[30] رشيد الخيّون، الأديان والمذاهب بالعراق، ط1، ج1، (دبي، مركز المسبار للدراسات والأبحاث، شباط 2016)، ص153.

خامسًا: المجتمع الإيزيدي ومعتقداته

1. المجتمع الإيزيدي

إن المجتمع الإيزيدي مجتمع تراتبي صارم، تتوزّع فيه الوظائف الدينية والاجتماعية بين المراتب الروحية والدنيوية، ولكلّ مرتبة مهمات وصلاحيات محددة تلتزم بها ولا تتجاوزها إلى غيرها [31]. نجد في تسلسل الرتب لدى الإيزيدية التدرّج الآتي:

- الأمير (أمير الشيخان): هو صاحب الرتبة الأعلى في المجتمع الإيزيدي، ويمتلك السلطة المطلقة على الصعيدين الروحي والدنيوي.
- الشيوخ: يضطلع الشيخ بمهمة دينية بالدرجة الأولى، فهو الدليل الروحي للمريدين التابعين له، ويقوم بتأدية الطقوس الخاصة بالولادة والزواج والموت.
- البِيَرة: يقتصر دور البير على مساعدة الشيخ في أداء الطقوس أو الحلول مكانه في حالة غيابه. وكلمة (بير) في اللغة الكردية تعني الشيخ في العربية.
- القوّالون: مهماتهم هي إحياء الطقوس الدينية بترتيل الأناشيد الدينية وعرض الطواويس (السناجق) [32] في المجتمعات الإيزيدية المختلفة.
- الفقراء: لا يشغل الفقراء أي وظيفة دينية وهم متزّهدون يرتدون قميصًا أسود من الصوف الخشن يدعى الخرقة[33].

أمّا سواد الإيزيدية ممن لا ينتمون إلى هذه الطبقات، فيدعون بالمريدين، ويجب على المريد أن يتّخذ له شيخا أو بيرًا يرشده ويعلمه أمور دينه [34].

وكل إيزيدي، أيّا تكن طبقته، يتبع منذ ولادته لشيخ وبير، ويظلّ مرتبطًا بهما حتى مماته. ويجب عليه أن يظهر لهما قدرًا كبيرًا من الاحترام، ويدفع لهما إتاوة سنوية. وعندما يبلغ سن الرشد ينبغي عليه أن يختار لنفسه أخًا في الآخرة (برايێ ئاخره تێ) ومربيًا (موره بي). ويجب أن يكون أخو الآخرة من عائلة بيرة غير عائلة البير الذي يتبع له وراثيًا [35].

---

[31] رشيد الخيّون، ص181.

[32] سنأتي على وصفها عند الحديث عن الممارسات الدينية.

[33] روجيه ليسكو، ص92 وما يليها.

[34] عباس العزاوي، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، (بغداد، مطبعة بغداد، 1935)، ص181.

[35] Habib Tawa, Les Yézidis, *Revue des anciens de l'Inalco*, Paris, 2001, P3.

2. المعتقد

تعتقد الإيزيدية بإله واحد هو الله (خوه دا/ خوه دێ). ويُعدّ التوحيد من أبرز سمات المعتقد الإيزيدي، يقول الإيزيدي عند ما ينطق الشهادة:

«أشهد أنّ الله هو الواحد الأحد

وطاووس الملائكة حقاّ حبيب الله»

ويقول أيضًا:

«إنّه هو الله ولا إله سواه

الذي لا يأكل ولا ينام

نشهد باسمه وباسم طاووس الملائكة نسلك طريق إيماننا» [36].

ويتصّف الإله الإيزيدي بالقدرة الكلّية أي إنه هو مصدر الخير والشرّ على حد سواء، يقول الإيزيديون: «الخير والشرّ من عند الله». لا شيء إذًا خارج إرادة الله، فإرادته في فعل الخير تساوي تمامًا إرادته في فعل الشرّ. وهذا يضعنا أمام نوع من الثنوية الضمنية أو كما يسمّيها الباحث الإيزيدي السوري هوشنك بروكا في دراسته المعنونة بـــ (إشكالية طاووسي مَلك) ثنوية مضمرة أو غير متبلورة [37]، إذ لا يمكن الفصل بين حدود الله بوصفه خيرًا محضًا وحدود الشيطان بوصفه شـرًا صـرفًا. فالإله الإيزيدي إله مطلق، بلا حدود في خيره كما في شـرّه. ولعلّ هذا ما قصـده الشـيخ عدي بن مسـافر بقوله: «لو كان الشـرّ بغير إرادة الله، لكان عاجزًا. ولا يكون العاجزُ إلهًا، لأنه لايجوز أن يكونَ في داره ما لايريده، كما لايجوز أن يكونَ فيها ما لا يعلم به» [38].

---

[36] عزالدين باقسري، ص35-36.

[37] هوشنك بروكا، إشكالية طاووسي ملك، على موقع بحزاني 2-6-2014

http://www.bahzani.net/services/forum/showthread.php?78498-

[38] هوشنك بروكا، إشكالية طاووسي ملك.

3. طاووسي مَلك (طاووس الملائكة)

يعتقد الإيزيدية أن الله خلق من نوره سبعة ملائكة، وأوكل إليها مهمة إدارة شؤون الدنيا [39]. وهم عزازيل (طاووسي ملك)، ودردائيل (شيخ سن)، وإسرافيل (شيخ شمش)، وميكائيل (شيخ أبو بكر)، وعزرائيل (سجادين)، وشمنائيل (شيخ ناسر دين) ونورائيل (شيخ فخر دين) [40].

وتذكر الميثولوجيا الإيزيدية أن الله أمر الملائكة بأن يسجدوا لآدم، فسجدوا كلهم إلا طاووسي مَلك، أبى ولم يسجد، وعندما سأله الله «ما لك لم تكن من الساجدين»؟ قال: «لا سجود لغير ربي، ألم توصنا بعدم العبادة والسجود والطاعة لغيرك يا رباه؟!». فأكرمه الله، وجعله رئيسًا للملائكة. لنقرأ هذه (السبقة) من (قه ولێ پەه دشايي):

إلهي خلق الكون من الدرّة الأصيلة

وأوكل أمور الدنيا إلى الملائكة السبعة

وجعل طاووسي مَلك رئيسًا عليهم [41]

ولئن كان المأثور الإيزيدي يعدّ طاووسي مَلك رئيسًا للملائكة السبعة، فإنّ الباحث هوشنك بروكا يرى فيه «الوجه الآخر للإله الأكبر (الله/ خوه دا/ أزدا) الكليّ القدرة». بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك، حين يجعل من طاووسي مَلك (الملاك) اقنوما في الثالوث الإيزيدي الأقدس إلى جانب الأقنومين الآخرين، الله (الربّ) وشيخادي (العارف)[42].

إنّ الحديث عن عقيدة الثالوث المقدّس في الديانة الإيزيدية ليس بجديد، فقد سبق أن تحدّث الأب أنستاس ماري الكرملي عن ثالوث مكوّن من (الملك طاووس والشيخ عدي ويزيد)، وذلك في محاولة منه لدفع تهمة عبادة الشيطان عنهم، وإبراز التأثير المسيحي في معتقدهم من خلال الأقانيم الثلاثة: الأب والابن والروح القدس. يقول الكرملي: «إنّ اليزيدية يعتقدون بإله واحد ضابط الكلّ بيده، كل ما في السماء، وكلّ ما في الأرض، ويسمّونه بالكردية خدا أي (الله) وبالعربية ربّ العالمين، ودونه الملك طاووس (طاووس ملك)، والشيخ عدي، ويزيدي وهؤلاء ثلاثتهم ليسو إلاّ إلهًا واحدًا من الرتبة الثانية...» [43].

واضح أن الأب الكرملي يميّز بين مستويين من الآلهة: آلهة أو بالأحرى إله من الرتبة الأولى وهو الله (خوه دا)، وآلهة من الرتبة الثانية وهم (الملك طاووس والشيخ عدي ويزيد)، أمّا الباحث بروكا فيتحدّث عن «ألوهة مثلثة التجلّي، ممثّلة

---

[39] شمو قاسم دناني، رموز التوحيد في بعض المعتقدات القديمة، (مجلة لالش، العدد 16، آب/ أغسطس 2001)، ص57.

[40] أمين جيجو، القومية الأيزيدية، (بغداد، 2010)، ص56.

[41] عز الدين باقسري، مه رگه، ص41.

[42] هوشنك بروكا.

[43] رشيد الخيّون، ص169.

بالله (خوه دا/ أزدا/ إيزي) والشيخ عدي (شيخادي) والمَلك طاووس (طاووسي مَلك» [44]. بالنسبة إليه (يزيد) هو (إيزي/ أزدا)، أي إنه اسم من أسماء الله (خوه دا)، وقد ورد في النص الديني الإيزيدي:

«شيخادي وطاووسي مَلك وسلطان إيزيد(د) هم ذات واحدة

فلا تفرقوا بينهم

هم الذين يحققون الآمال» [45]

لا شك في أن مفهوم (طاووسي مَلك) من أكثر الموضوعات غموضًا وتعقيدًا في الديانة الإيزيدية. لكن بنفي صلة (طاووسي مَلك) بالشيطان في الديانات السماوية يمكن دفع تهمة (عبادة الشيطان) عن هذه الديانة. بهذا المعنى يقول رشيد الخيّون: «إنّ الإيزيدية لا يؤمنون بوجود كائن اسمه الشيطان من الأساس فكيف يعبدونه. ولا يوجد في الفكر الديني الإيزيدي إله للشر» [46].

كذلك يرى المستشرق روجيه ليسكو أنّ الإيزيدية «لا تقوم على عبادة الشيطان، وإنّما على نفي وجوده. وإن كلمات شيطان وإبليس التي يُمنع التلفّظ بها هي تسميات مهينة يستعملها المسلمون لقذف المَلك طاووس الذي كان نبيهم يحتقره» [47].

4. عدي ين مسافر

مهما تكن أصول الديانة الإيزيدية فإنّ شخصية عدي بن مسافر (شيخ عادي/ شيخادي عند الإيزيدية) قد أدّت دورًا مؤثّرًا في تاريخها حتى غدت رمزًا من رموزها واقترن اسمها بها [48]. فإذا سلّمنا بأنّ الإيزيدية ديانة قديمة ظهرت قبل الإسلام أمكننا عدّ هذه الشخصية مجدّدة لها، ما يقتضي منا تقسيم تاريخ الإيزيدية إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل ظهور عدي، ومرحلة عدي. أمّا إذا قبلنا بإسلامية أصولها فإنّ عديّا يُعدّ في هذه الحالة مؤسّسًا لها، كونه هو الذي أسّس الطريقة العدوية التي تُعدّ أصل الإيزيدية وفقًا لهذه النظرية.

---

[44] هوشنك بروكا.

[45] زهير كاظم العبود، طاؤوس مَلك، السليمانية، (دار سردم للنشر والطباعة، 2005)، ص74.

[46] رشيد الخيّون، ص167.

[47] روجيه ليسكو، ص54.

[48] زهير كاظم العبود، ص2.

وفي ترجمة عدي بن مسافر يقول ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان) ما يأتي: «الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان، كذا أملى نسبه بعض ذوي قرابته الهكاريُّ مسكنًا، العبد الصالح المشهور الذي تنسب إليه الطائفة العدوية، سار ذكره في الآفاق، وتبعه خلق كثير وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحدّ حتى جعلوه قبلتهم التي يصلّون إليها، وذخيرتهم في الآخرة التي يعوّلون عليها... وكان مولده في قرية يقال لها: بيت فار من أعمال بعلبك، والبيت الذي ولد فيه يزار إلى الآن، وتوفي سنة سبع -وقيل خمس- وخمسين وخمسمئة في بلده بالهكَّارية، ودفن بزاويته رحمه لله تعالى، وقبره عندهم من المزارات المعدودة والمشاهد المقصودة... وعاش الشيخ عدي تسعين سنة رحمه الله»[49].

تعد مسألة نسب الشيخ مثار خلاف بين بعض الباحثين، فقد ذهب فريق منهم إلى أنه أموي يرتقي بنسبه إلى مروان بن الحكم، وكان يسعى من خلال التفاف الإيزيدية حوله لاستعادة أمجاد أجداده الأمويين. بينما ذهب فريق آخر إلى أنّه كردي من (شوف الأكراد) بلبنان، قدم إلى جبال الهكارية من أعمال الموصل بقصد تجديد ديانة أجداده وقومه. وذهب آخرون إلى أنّ عدي بن مسافر المدفون في لالش ليس (شيخ عادي/ شيخ آدي) الذي يخصّه الإيزيدية بالتقديس والتبجيل [50]. في أي حال، فإن الأصل العرقي للشيخ عدي بن مسافر، سواء أكان عربيًا أمويًّا أم كان كرديًا هكاريًّا [51]، لا يُخلّ بقدسيته ومكانته في الديانة الإيزيدية [52].

نجد في النصوص الدينية الإيزيدية (الأقوال) كثيرًا من المقاطع (السبقات) التي تعظّم شأن الشيخ وتعلي منزلته، لا بل تجعل الإيمان به وبطريقته ركنًا من أركان الدين الإيزيدي، فلنتأمّل هاتين السبقتين من (قول الإيمان):

سيبقى إيمان الإيزيدي مشكوكًا فيه

ما لم يتشبّث بخرقة الشيخ عدي (شيخادي)

فالشيخ عدي هو الإيمان نفسه

وهو البحر العميق الذي لا قرار له

فكم من الغوّاصين استخرجوا منه الدرر [53]

---

[49] أحمد تيمور باشا، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ص 18 وما يليها.

[50] زهير كاظم العبود، ص 7-8.

[51] إشارةً إلى دراسة الكاتب عبد الرحمن مزوري المعنونة بـ(تارج العارفين عدي بن مسافر الكوردي الهكاري ليس أمويًا).

[52] محسن سيدا، قراء في كتاب (عدي بن مسافر ليس أمويا) على موقع مدارات كرد، 21-10-2013:

http://www.medaratkurd.com

[53] السبقتان 14 و15 من (قه ولێ ئيمانێ)، وقد قمنا بإعادة ترجمتهما عن الكردية، لمراجعة النص الأصلي انظر:

سادسًا: الممارسات الدينية

1- الصلاة (الدعاء)

الصلاة عند الإيزيدية صلاة لفظية تجري بالقلب ولا تشتمل الركوع والسجود، لذلك تُسمّى صلاتهم دعاءً (دوعا). ويُفترض أن تؤدّى يوميًا عند الفجر وعند طلوع الشمس وغروبها. وقبلتهم هي الشمس التي يدعونها بـ (القبلة الدوّارة/ قوبله ت بدور). يقف الإيزيدي بعد غسل وجهه ويديه متجّهًا نحو الشمس، واضعًا يده اليمنى على اليسرى[54]، ويقرأ أدعية من هذا القبيل:

دعاء الصباح:

«بسم يزدان العظيم الرحيم الكريم

اللهم: بك صلاتي، لعظمتك، ولألوهيتك، وتذكرة لربوبيتك

اللهم: أنت الكريم والرحيم، وأنت الرب، ومالك الملك

اللهم: أنت مالك البلدان والسماء، ومالك العرش الأعلى

اللهم: أنت القديم وأنت الأبدي، وأنت مالك أرواحنا

اللهم: أنت رب الملائكة والجن والإنس، وأنت ملك العرش والكرسي، إنّك منزّه عن كل نقص، لا صاحب ولا شريك لك، واحد وتكون واحدًا إلى الأبد، ولا يوجد من ينازعك في الألوهية، إنك تستحق المدح والثناء.

اللهم: خالق الكواكب النيّرة، إله الشمس والقمر. وخالق الأنهار والثلج بيدك الأخذ والعطاء.

اللهم: ليس لك مكان، ولا تحتاج إلى المعونة، وليس لك صوت، ولا لون، ولا جسم ولا يد، ولا يعلم أحد بحقيقتك.

اللهم: إنك رازق الحوت، ومعطي القوت، أنت الحليم وملك الملكوت، وأنت ملك الغني والفقير.

اللهم: كذلك كنت، كذلك كنت، كذلك كنت»[55].

أحمد ملا خليل، من آذربيجان إلى لالش، ط1، (أربيل، مطبعة حجي هاشم، 2006)، ص254.

[54] عز الدين باقسري، ص182-183.

[55] سعيد الديوجي، ص146.

2- الصيام

للإيزيدية صومان سنويان مدة كلّ منهما ثلاثة أيام، يمتنعون فيهما عن الأكل والشرب والدخان من بزوغ الفجر إلى وقت الغروب. الأول يسمّى (صوم إيزيد)، ويكون في أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس التي تقع في بداية شهر كانون الأول/ ديسمبر وفق التقويم الشرقي. أمّا الثاني فيدعى بـ (صوم خدر لياس)، ويكون أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء من الأسبوع الأول من شهر شباط/ فبراير الشرقي. وهو فرض على من يحمل اسم (خدر) أو (لياس) وعلى رجال الدين، فيما تصوم العامّة يوم الأربعاء فقط [56].

والإيزيدية -كغيرهم من الباطنيين- يعدّون الصلاة والصوم أفعالًا ظاهرات، والأصل هو صفاء القلوب وفعل الخير والامتناع عن الكذب. فقد جاء في النص الديني (قه ولێ ئاخره تێ/ قول الآخرة) أنّ:

من تحكّمَ بلسانه

غفرَ الله له

وكأنّه أدّى فريضة الصلاة وصام أربعين يومًا

فمن حفظَ لسانه

ووزنَ كلامه

لا حاجة به إلى الصوم والصلاة [57]

---

[56] عز الدين باقسري، ص 181.

[57] لمراجعة النص الكردي انظر: عز الدين باقسري، ص 185-186.

3- الطواف بالطاووس (السنجق)

إنّ الطواف بالطاووس (السنجق) يُعدّ من الطقوس الإيزيدية المشهورة. والسنجق تمثال برونزي أو نحاسي على هيئة طائر يرتكز على قاعدة تشبه شمعدانا طويلًا [58]، وهو يرمز إلى طاووسي مَلك. يبلغ عدد السناجق سبعة ولكلّ واحد منها اسم خاص. ويُدعى السنجق الخاص بإيزيدبي سورية بـ (طاووس حلب).

يجري الطواف بالسناجق في القرى والبلدات الإيزيدية مرة أو مرتين في السنة في العراق، أمّا خارج العراق فالأمر يخضع لأوضاع البلدان التي يعيش فيها الإيزيدية. وليس لهذا الطقس مواعيد منتظمة عند إيزيدبي سورية. يقول روجيه ليسكو بهذا الشأن: «في منطقة جبل سمعان لانراهم [أَحَمَلة السناجق] إلاّ كل سنتين أو ثلاث سنوات» [59]. ومنذ أكثر من عقدين ولأسباب غير معروفة توقفت جولات الطاووس بين الإيزيديين في سورية [60].

عادةً يترافق هذا الطقس بأجواء احتفالية، تبدأ بالنقر على الدف والعزف على الناي وأداء الأناشيد والتواشيح الدينية [61]. والغاية من الطواف بالطاووس هي تقديم المواعظ والإرشادات والاطلاع على أحوال الإيزيدية [62]، وجمع الصدقات والتبرّعات [63].

---

[58] روجيه ليسكو، ص74.

[59] روجيه ليسكو، ص76.

[60] فرماز غريبو، **«لماذا توقفت جولات الطاووس بين الإيزيديين؟»**، على موقع بحزاني 17-11-2011:
http://www.bahzani.net/services/forum/showthread.php?25878-

[61] د. محمد عبدو علي، الديانة الإيزيدية والإيزيديون في شمال غربي سورية، ابراهيم خليل عيسى (مدقق لغوي)، (عفرين، 2007)، ص48.

[62] عز الدين باقسري، ص188.

[63] - روجيه ليسكو، ص75.

4- المحرّمات

على الفرد الإيزيدي تجنّب عدد من المحرّمات، يتعلّق بعضها بالمأكل والمشرب والملبس، وبعضها الآخر يتعلق بالأحكام الدينية والآداب العامة. نذكر منها: ارتداء اللون الأزرق وتناول الخس والملفوف ولحم الخنزير، والبول واقفًا والبصاق في الوجه والتلفظ بكلمات بذيئة وحلق الشوارب واللعن والزواج من زوجة الأخ المتوفى والزواج من أتباع الديانات الأخرى [64].

غير أن الإيزيديين في سورية وبخاصة في منطقة جبل الكرد ما عادوا يتقيّدون ببعض هذه المحرّمات، ولا سيما ما تعلّق منها بالمأكل والمشرب [65].

5- الأعياد

للإيزيدية أعياد كثيرة يرتبط بعضها بدورة الطبيعة وحركة فصول السنة [66]، وبخاصة الثابتة منها أي تلك التي يجري الاحتفال بها وفق تاريخ معلوم. أمّا الأعياد المتنقّلة (كعيد القربان وعيد الصوم) فيمكن تقريبهما من الأعياد الإسلامية. بعض هذه الأعياد يحتفل بها إيزيديو العراق في مرقد الشيخ عدي في لالش، غير أنّ إيزيدي سورية لا يتسنّى لهم ذلك بسبب البعد الجغرافي. وغالبًا ما تترافق هذه المناسبات الدينية بطقوس متشابهة كزيارة المريدين لشيوخهم والأفراح العائلية والتطواف حول المزارات المحلية [67].

أمّا أهم الأعياد التي يحتفل بها الإيزيديون في سورية فهي:

- عيد رأس السنة (عيدا سه رسالێ): يقع في أول يوم أربعاء من شهر نيسان/ أبريل الشرقي. ويُعرف هذا العيد بأسماء أخرى من مثل عيد طاووسي مَلك ومَلك زان/ زين (ولادة المَلك)، والأربعاء الأحمر (چارشه مبا سور) [68]. ويجري الاستعداد له بنحر الذبائح يوم الثلاثاء، وتزيين مداخل البيوت بشقائق النعمان صباح يوم العيد [69].

---

[64] محمد عبدو علي، ص66.

[65] محمد عبدو علي، ص66.

[66] - د. خليل جندي، **الإيزيدية والامتحان الصعب**، ط1، (أربيل، دار ئاراس للطباعة والنشر، 2008)، ص307.

[67] روجيه ليسكو، ص72.

[68] د. خليل جندي، الإيزيدية والامتحان الصعب، ص308.

[69] سعيد الديوجي، ص169.

- عيد الصوم (عيدا روژيا): يصادف هذا العيد يوم الجمعة الأولى من شهر كانون الأول/ ديسمبر الشرقي، أي يلي صوم إيزيد (إيزي).

- عيد القربان (عيدا قوربانێ): يتزامن هذا العيد مع اليوم الأول من عيد الأضحى لدى المسلمين، ومدة الاحتفال به يوم واحد. من أهم طقوس هذا العيد فتح صّرة الملابس الصوفية الخشنة المعروفة بـ (تاج حلّة)، وهي سبع قطع من الملابس أهمها الخرقة المقدّسة (خرقه) التي يتبرّكون بها [70].

- عيد خضر الياس (عيدا خدر لياس): يصادف هذا العيد يوم الخميس الأول من شهر شباط/ فبراير الشرقي[71]. بمناسبة هذا العيد يجري إعداد طعام خاص يدعى الـ (بيخون)، ويعني حرفيا (بلا دم) أي الطعام الذي لا يحتوي على لحوم، وهو عبارة عن هريس من سبعة أنواع من الحبوب. ويطلق على هذا العيد اسم آخر وهو عيد تحقيق الرغبات (عيدا مرازا) [72].

سابعًا: العادات الاجتماعية

1- الزواج

فرض الدين الإيزيدي على أتباعه قيودًا مزدوجة بشأن الزواج، إذ يجب أن يكون ضمن الدين نفسه، وكلٌّ ضمن طبقته الخاصة، فلا يجوز للـــپير أو الشيخ الزواج من طبقة المريدين والعكس بالعكس. ولا يكون الزواج مباركًا وشرعيا ما لم يتم عقد القران بين الزوجين على يد الشـــيخ. ويجوز للإيزيدي أن يتزوّج بأكثر من واحدة وله حق الطلاق أيضـــا [73]. غير أن الإيزيدية في منطقة جبل الكرد، بخلاف المجتمعات الإيزيدية الأخرى، ما عادوا يلتزمون كثيرًا بالقيود المفروضـــة على الزواج [74]. أمّا في ما يتعلّق باحتفالات الأعراس الإيزيدية فهي لا تختلف كثيرًا عن مثيلاتها لدى الكرد المسلمين حيث الغناء والرقص و الدبكة على إيقاع الطبل والمزمار.

---

[70] د. محمد عبدو علي، ص55.

[71] عز الدين باقسري، ص153 وما يليها.

[72] محمد عبدو علي، ص54.

[73] سعيد الديوجي، ص170 وما يليها.

[74] Sebastian Maisel, p.9.

2- الكرافة (كريفاتي)

تعني كلمة (كريف) لغةً الصديق والقريب، وأصلها من الكلمة الآرامية (قه ريڤا/ ܩܪܝܒܐ)[75]. وتشير اصطلاحًا إلى الشخص الذي وقع عليه الاختيار لكي يضع الولد المراد ختنه في حجره. وقد يكون الـ (كريف) إيزيديًا من طبقة مختلفة عن طبقة المختون أو يكون مسلمًا، ولكن لا يجوز أن يكون مسيحيًا [76]. في أثناء الختان يضع الكريف ثوبه أو منديله الأبيض تحت الطفل حتى تسقط قطرات من دمه عليه، فينشأ من ذلك ما يشبه رابطة الدم بين العائلتين (المتكارفتين). وبهذه المناسبة يجري تبادل الهدايا بين العائلتين وإقامة الأفراح على أنغام الطبل والمزمار [77].

3- الموت والدفن

عندما يحتضر الإيزيدي، يحضر أحد رجال الدين، ويقرأ عليه شيئًا من التراتيل الدينية الخاصة بالموت، ويرش على وجهه قطرات من الماء. وعندما يموت، يقوم أخوه في الآخرة أو شيخه أو پيره بغسله، ويضع قليلًا من تربة لالش المقدّسة (به رات) في فمه وعينيه وأذنيه. ويكفّن الميت بخام أبيض. ويُحمل النعش إلى مثواه الأخير حيث يُدفن ورأسه باتجاه الغرب [78]. ويُكثر الإيزيديون من الخيرات والصدقات على روح ميتهم وبخاصة في الأيام الثلاثة الأولى من وفاته وفي اليوم السابع وبعد انقضاء أربعينيته. وللميت حرمة كبيرة عند الإيزيديين، ففي ليالي الأعياد والمناسبات يصنعون له طعاما ويضعونه على قبره [79].

---

[75] انظر مادة كريف في معجم wîkîferheng بالشبكة العنكبوتية:
https://ku.wiktionary.org/w/index.php?title=kir%C3%AEv&variant=ku-arab

[76] عز الدين باقسري، ص 200.

[77] عز الدين باقسري، ص 203.

[78] عز الدين باقسري، ص209 وما يليها.

[79] صديق الدملوجي، ص71.

ثامنًا: المعتقدات الشعبية

يشترك الكرد بانتماءاتهم الدينية المختلفة بعدد كبير من المعتقدات الشعبية، من أبرزها تقديس أماكن الأولياء والصالحين وآثارهم وتبجيلها، والتقرب إليهم بالذبح أو النذر لهم، والطواف على قبورهم والتبرك بها لقضاء الحاجات الدينية أو الدنيوية. وفي هذا الصدد يقول العلاّمة الكردي ملا محمود بايزيدي في رسالته الموسومة (عادات الأكراد وتقاليدهم/ عادات ورسومتنامهء أكراديه): «وللأكراد اعتقاد كبير بالمزارات والأشجار والأحجار وهم يقدّمون القرابين عند شجرة مخصوصة أو صخرة معينة ويشعلون الشموع عندها. وإذا وقع أحدهم مريضًا فإنّ أحدًا من أهله يعاهد نفسه قائلا: لئن عوفي المريض هذه المرة لأذهبنّ حافيًا إلى المزار الفلاني وأُشعلنّ الشموع...» [80].

وفي السياق ذاته يذكر روجيه ليسكو: «ليس ثمة تقريبًا قرية يزيدية لا تملك مكانا أو عدة أمكنة مقدّسة (زياره ت/ مه نزه ل)، هي موضع تبجيل السكان. وهذه المزارات المتواضعة هي إحدى المميزات الأكثر إدهاشًا في المنظر الطبيعي لبلد يزيدي...» [81]. بعض هذه المزارات يقع في الأماكن العالية، وبعضها الآخر يكون بجوار نبع أو بجوار شجرة مقدّسة يلّف عليها الإيزيدي قطعة قماش بمنزلة تقديم نذر. وقد يكون المزار مبنيًا فوق كهف كمزار (چيّل ميرا) في سنجار ومزار (چل خانى) في منطقة جبل الكرد [82]. وكثيرًا ما نجد في الينابيع المجاورة للمزارات أسماكًا مقدّسة يُمنع اصطيادها [83] كما هي الحال بالنسبة إلى النبع القريب من مزار (شيخ بكو) في بحزاني بمنطقة الشيخان ونبع مزار (شي عبد القادر) في قرية طورندة في جبل الكرد [84].

يرى بعض الباحثين في تبجيل هذه الأماكن المقدّسة آثار عبادة الطبيعة لدى الكرد بعامة ولدى الإيزيدية بصورة خاصة. يقول صاحب كتاب (اليزيدية في سورية وجبل سنجار): «إنّ موضع هذه الأمكنة المقدّسة واختيارها يتيحان لنا أن نرى في التبجيل الذي يحيط بها آثار عبادةٍ للطبيعة ما تزال راسخة لدى كل الأكراد» [85]. كذلك يخلص الأب توماس بوا في كتابه (معرفة الأكراد) إلى النتيجة ذاتها ولكن بنبرة حذرة: «وربّما حلّ تقديس الأولياء بهذه الصورة مكان عبادة

---

[80] ملا محمود بايزيدي، رسالة في عادات الأكراد وتقاليدهم، جان دوست (مترجمًا)، كاميران حوج (مراجعًا)، ط1، (أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث/كلمة، 2010)، ص79.

[81] روجيه ليسكو، ص77.

[82] روجيه ليسكو، ص78.

[83] حول قدسية الأسماك ومنع اصطيادها، يقول النص الديني الإيزيدي: «إكرامًا لعرش الرحمن، للثور والسمك، إكرامًا لدوران الفلك....». انظر: مروان بركات، عفرين عبر العصور، ط1، (حلب، دار عبد المنعم-ناشرون، 2008)، ص 259.

[84] Tomas Bois, *Connaissance Des Kurdes*, Beyrouth, khayats, 1965, p. 113.

[85] روجيه ليسكو، ص78.

قوى الطبيعة التي لم يتم استئصالها من قلوب الجماهير الشعبية رغم تحريم الإسلام المتشدّد تحريما قاطعا لها» [86]. وفي الوقت نفسه يذهب أغلب الباحثين الإيزيدين إلى أن الإيزيدية من ديانات الطبيعة القديمة [87].

1- أسطور الخلق

لا تخرج أسطورة الخلق والتكوين لدي الإيزيدية عن الإطار العام لأساطير الخلق التي تبدأ فيها عميلة خلق العالم وتكوينه انطلاقًا من المياه الأولى. وقد وردت قصة التكوين في الموروث الشفاهي الإيزيدي بصورة رئيسة في قول (خلق العالم/ ئافرينا دنيايێ)، وقول (زه بوونى مه كسوور/ الفقير الزاهد)، وقد ضمّنها الكاتب أحمد ملا خليل في كتابه الموسوم (من أذربيجان إلى لالش) [88]، وهذا نصّها:

«...كان الكون ظلامًا، لم يكن فيه فأر ولا حيّة، لم يكن بعد أرض ولا سماء، لا إنسان ولا حيوان، لا أرض ولا عرش، كانت البحار في درّة... من هو العاشق العارف الخبير الذي يجيب عن سؤالنا: هل الدرّة من الله أم الله من الدرّة؟!

الجواب: الله الذي خلق الدرّة من ذاته، نورًا كنوره لأنّ الله نور، إذن الدرّة من كلمته وصارت بأمره وإرادته.

أخرج الله الدرّة من البحار واتّخذها كرسيًا وعرشًا له ثم أبعد الله الدرّة عن ذاته، ونظر إليها نظرة هيبة فانبثقت عنها عينان نضاحتان بالمياه الغزيرة، تجمّعت المياه فصارت بحرًا لا قرار له، ثم خلق الله لذاته مركبا سكن عليه وساح في البحر، بعد ذلك رمى في البحر خميرة -البذرة الأولى- فتجمّد البحر فارتفع دخان وبخار -الهيولى- فخلق منهما السماوات السبع والأرضين السبع. ثم نظر إلى الدرّة نظرة هيبة أخرى، فتقطّعت وخلق منها التراب والماء والهواء والنار -أي العناصر الأربعة الضرورية للتكوين والخلق- إلهي أنشأ الكون من الدرّة وسلّم أمرها إلى الأسرار السبعة -الملائكة- وجعل طاؤوس مَلك رئيسا عليهم» [89].

ويمكن أن نجد في مادة المصحف الأسود (مصحفا رش) أكثر من من رواية لهذه الأسطورة، سنكتفي بمقتطف من الرواية التي أوردها المؤرّخ صديق الدملوجي في كتابه (اليزيدية):

«لم يكن هذا الفضاء الواسع سوى ظلمات، تجري من تحته أمواج، وتعصف فيه رياح وليس فيه سوى الله قائما بوحدانيته، منفردًا بربوبيته.

---

[86] Tomas Bois, p.113.

[87] انظر على سبيل المثال: د. خليل جندي، **الإيزيدية والامتحان الصعب**، ص307.

[88] قام المرحوم أحمد ملا خليل بترجمة المقاطع المتعلّقة بالموضوع من قولي (ئافرينا دنيايێ وزه بوونى مه كسور) وبعض الأقوال الأخرى وذلك بعد أن جمعها وأعاد ترتيبها، انظر: أحمد ملا خليل، ص146.

[89] أحمد ملا خليل، ص147-148. وقد قمنا بتصحيح بعض الأخطاء النحوية البسيطة في النص من دون المساس بأسلوب الكاتب/ المترجم.

لما أراد الله خلق هذه الكائنات، أوجد من نوره الأزلي درّة بيضاء وضعها فوق ببغاء وسكن عليها أربعين ألف سنة، ثم صاح بالدرّة فانفلقت وخرجت منها الأرض ثم تفجّرت منها النهر والبحار.

ولم يكن هذا الكون في بدء خلقه على نظام وترتيب، فأرسل الله جبرائيل على صورة طير فأحسن تنظيمه ووضع له الجهات الأربعة وزاد في تنسيقه.

وخلق سفينة طاف بها البحار ثلاثين ألف سنة، ثم جاء (لالش) فاهتزت به الأرض وربت ولم تستقر إلاّ بعد أن خلق الجبال وجعل لها أوتادًا.

ثم أمر جبرائيل فأخذ قطعتين من درّة بيضاء وعلقهما في السماء، فكان منهما الشمس والقمر، وخلق مما تناثر من الدرّتين مصابيح في هذا الفضاء.

وخلق أشجارًا وثمارًا ونباتات زيّن بها الأرض ووضع عرشًا على عرش وصعد عليه وخاطب الملائكة قائلًا: أني خالق آدم وحوّاء ليكونا جدين للبشر ومنها تكون ملّة اليزيدية تُدعى ملّة (عزازيل) وهو (طاووس مَلك).

وخلق يوم الأحد ملكًا سماه عزازيل وهو (طاووس مَلك).

وفي يوم الاثنين خلق ملكًا سمّاه دردائيل وهو (الشيخ حسن).

وفي يوم الثلاثاء خلق ملكًا سمّاه أسرافيل وهو (الشيخ شمس).

وفي يوم الأربعاء خلق ملكًا سماه ميكائيل وهو (الشيخ أبو بكر).

وفي يوم الخميس خلق ملكًا سماه جبرائيل وهو (الشيخ سجادين).

وفي يوم الجمعة خلق ملكًا سماه شمنائيل وهو (الشيخ ناصر الدين).

وفي يوم السبت خلق ملكًا سماه نورائيل وهو (الشيخ فخر الدين).

وجعل (طاووس ملك) رئيسًا للجميع.

ثم نزل إلى الأرض وأخذ بيده قلما وبدأ يكتب الخليقة، فكتب ستة آلهة من نوره وذاته فكان خلقهم كما (يوقد إنسان سراجًا من سراج). ثم قال للآلهة إني خلقت السماء فليخلق كل واحد منكم شيئًا، فخلق الأول الشمس، والثاني القمر، والثالث الفلك، والرابع نجمة الصبح (القرغ)، والسادس الفردوس والسابع الجحيم» [90].

---

[90] - صديق الملوجي، ص 1-2.

2- الموسيقا والغناء

تلعب الموسيقا دورًا بالغ الأهمية في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية لدى الإيزيديين، فلا يمكن إجراء طقس أو إحياء مناسبة أو احتفال من دون استخدام الموسيقا. ثم إن لها دورًا أساسًا في أسطورة خلق آدم ودخول الروح في جسده وفقًا لمعتقدهم، فقد ورد في قول (زه بوونى مه كسور) المار الذكر:

«... ظلّ الجسم دون حراك

فسأل الربُّ الروحَ

لماذا تأبين الدخول [في جسد آدم]

***

قالت الروح: معلوم لدى العشّاق

ما لم ينزل من الأعالي الناي والدف

فستبقى بين الروح والجسد حدود منيعة

***

نزل من الأعالي الناي والدف

ففاضت الروح بنور المحبة

وسرت في جسم آدم وتغلغلت فيه...» [91]

نجد عند الإيزيدية فئة مختصة بالموسيقا والغناء في أداء الطقوس الدينية، ونقصد بهم القوالين الذين أتينا على ذكرهم عند الحديث عن طبقات الإيزيدية، يقول عنهم الباحث صباح كنجي: «تتم المراسيم والشعائر الدينية عند الأيزيدية بمصاحبة فرق خاصة من الموسيقيين يطلق عليهم (القوالون)، وهم رجال دين يتوارثون هذا الدور أبًا عن جد، يتمركزون في مدينتي بعشيقة وبحزاني وبعض قرى الشيخان وباعذرة، شمال مدينة الموصل» [92]. ويصفهم في موضع آخر بقوله:

---

[91] د. خليل جندي، «القوالون»، على موقع مدارات كرد 23-12-2014:
http://www.medaratkurd.com/author/xelil./
قمنا بإعادة صوغ الترجمة العربية للمقاطع بعدها مقارنتها بترجمة المرحوم أحمد ملا خليل (ص 168-169).

[92] صباح كنجي، الموسيقى في الديانة الأيزيدية، الجزء الأول، موقع التيار الديمقراطي 17-8-2013:

«هم رجال دين متخصصون بإحياء المناسبات الدينية من خلال ترديدهم للأقوال والأناشيد والتراتيل ويتوارثون هذا الدور أبًا عن جد، بحفظهم لكل ما يمت بصلة للأدب الشفاهي، وعندهم يُحفظ (الدف والشباب) المقدسين، ولهم رئيس يطلق عليه (كبير القوالين) ويعتبر من كبار رجال الدين، تجري استشارته في الشؤون المختلفة للأيزيدية من قبل المير والبابا شيخ، ولا يجوز أن يشترك مع القوالين في تأدية هذه المهام إلا الـ (كواجك) وفي مناسبات محدودة» [93].

على الرغم من غياب القوّالين بين إيزيديي سورية، فإن طقوسهم واحتفالاتهم الدينية لا تجري من دون مرافقة الموسيقا والغناء لها. غير أن العازفين يكونون من سواد الإيزيديين، وأما إنشاد الأقوال والتراتيل الدينية فهو مهمة الشيوخ والپيرة. وأكثر الآلات الموسيقية استخدامًا لديهم هي الطبل والمزمار (زرنه) والطنبور. وهذه الآلة الأخيرة مقدّسة لديهم، إذ لا يكاد يخلو منها أي بيت إيزيدي في الجزيرة السورية أو في منطقة جبل الكرد. بهذا الصدد، يقول الموسيقي السرياني السوري إبراهيم كيفو الذي خالط الإيزيدية، وعاش بين ظهرانيهم: «آلة الطنبور مقدسة عند الإيزيديين، دليل ذلك أن كل بيت إيزيدي يجب أن تكون آلة الطنبور موجودة فيه ومعلقة بجانب الرمز المقدس وبأعلى مكان، فهذا الطقس موجود عند الإيزيديين في الجزيرة السورية منذ القدم» [94]. وحول قدسية الموسيقا عند الرموز الدينية الإيزيدية، ينقل لنا كيفو رواية مفادها أن (طاووسي ملك) أراد أن يقيم احتفالًا كبيرًا بعد انتهائه من عملية الخلق، فجمع حشدًا كبيرًا من البشر بلغ عددهم سبعين ألفًا، كان أغلبهم من الموسيقيين والمغنيين. وكانت أجواء الحفل خرافية، إذ حضرت الطيور بأشكالها وألوانها الزاهية كلها، وشرعت تنطق بلغة البشر قائلة: «ألا يحقّ لنا أن نشارككم؟ ألسنا من مخلوقات الله؟» ثم طفقت تغرّد وتصدح بأجمل الألحان، فأصبح الجو «موسيقيًّا خلّاقًا وساحرًا» [95].

أمّا في مستوى الغناء الشعبي الإيزيدي، فيمكن أن نميّز نوعين من الأغاني؛ الأغنية الإيقاعية الخفيفة التي تترافق مع الرقص والدبكة في الأعراس والمناسبات الاجتماعية، والأغنية الملحمية التي يختلط فيها الواقع بالأسطورة، وأهم موضوعاتها وصف شجاعة الفرسان في ساحات المعارك، وبيان مشاهد الحياة القبلية وجمال الحبيبة وآلام الفراق. ويمكن أن تُؤدّى أغاني هذا النوع مع الموسيقا أو من دونها. ومن أشهر الأغاني الملحمية ملحمة البطل (درويشي عبدي/ عقدي) التي تتغنّى بالشجاعة النادرة والبطولة الخارقة لهذا الفارس الإيزيدي المقدام. وهذه الملحمة الغنائية عابرة لحدود بيئتها

---

http://www.altayaraldemokrati.com/index.php?option=com_content&view=article&id=1123:2013-08-17-08-22-42&catid=39:2012-01-17-18-46-29&Itemid=83

[93] صباح كنجي، الموسيقى في الديانة الأيزيدية.

[94] شيار خليل، «قدسية الغناء والموسيقا عند إيزيديي سورية»، موقع مدونة وطن، 2011-7-1.

http://www.esyria.sy/ealeppo/__print.php?site=aleppo&filename=201107011020011

[95] شيار خليل، «قدسية الغناء والموسيقا عند إيزيديي سورية».

الإيزيدية، يغنّيها المطربون الكلاسيكيون الكرد [96] بروايات عدة، ولعلّ الرواية الأكثر انتشارًا هي تلك التي غناها باقي خضو. وقد لخّص الكاتب والشاعر إبراهيم اليوسف حوادثها على النحو الآتي:

«تدور حوادث ملحمة درويشي عبدي في كردستان، حيث لجأ والد درويش وأسرته إلى مرابع تمر باشا، زعيم عشائر المللیين، ليحتموا بها. يقع الفتى في حب عدلة ابنة الباشا، بعد أن تلتقي نظراتهما قرب النبع، فتولد بينهما قصة حب فريدة، لا يمكن أن تتكلل بالزواج، بسبب حاجز الدين. درويش من الإيزيديين الشرقيين، في حين إن الأميرة المللية كردية مسلمة. عندما يبوح الفتى درويش بحبه لهذه الغادة الكردية الحسناء، يهرع أحد الحساد إلى والدها، لينمّ عليه، ويوغر صدره، فيخطط لقتله. عندما يتناهى إلى والد درويش ما يضمره الباشا لابنه، يقرر الابتعاد عن مضارب المللیين، ليفوّت على الباشا فرصة المكيدة، غير أنه لا يفلح في ذلك. يعلن الباشا أنه يهب ابنته لأي فتى يحتسي فنجان القهوة، تحت خيمته، ويقبل بمواجهة أعدائه من الترك والجيس، فيتنطع درويش لأداء هذه المهمة، وتفشل محاولات والده وشقيقه، وكل من حوله، بل والأميرة عدلة ذاتها، في ثنيه عن هذه المهمة التي لا تعني إلا أمرًا واحدًا، هو التخلص منه. درويش يعرف ذلك في قرارته، لكنه لا يتراجع، بل يخرج مع أحد عشر فتى من بينهم شقيقه سعدون، ذي الأربعة عشر عامًا، لمواجهة جيش عرمرم، يقارب الأربعة آلاف شخص، من المغيرين على المللیين، فيدفع حياته، وحياة شقيقه سعدون في تلك الواقعة التي لا ينجو منها غير فارس واحد. يؤكد درويش لأبيه ملحم أن الحبّ قاسٍ وأليم، ويذكّره كيف أنه كان يحبّ شقيقة الباشا نفسها. بل يذكّر أباه بأنه بعد سماعه بموت حبيبته تلك، قهرًا، لأنها زوِّجت بأحدهم في الرها بعد ثلاثة أيام فقط من زفافها إليه، اصطحب معه ولديه، وأمرهما بمساعدته في نبش قبرها، ثمّ طلب منهما الابتعاد عن القبر لأن جثتها كانت أنتنت فيه، لينزل بمفرده ويناجيها، طالبًا منها أن تنهض وتلحق به، من دون جدوى. يرضخ الوالد لرغبة ابنه ويعدّ العدة للذهاب معه إلى مضارب الباشا. الحبيبة نفسها تعرف أن والدها دبّر مكيدة ضد حبيبها، فتحاول بكل ما لديها من حنكة ودهاء أن تتدخل لثني أبيها، بل وعاشقها. يقدم درويش على ارتشاف فنجان القهوة، عارفًا أنها قهوة موت حلمه، بل قهوة موته...» [97].

ثمة ملحمة غنائية أخرى تُعرف باسم (دلال/ دلالي عدولي)، وهي امتداد مكمّل لـ (درويشي عڤدي). (دلال) أي الحبيب المدلّل، هو الاسم الذي أطلقته عدلة (عدوله) على حبيبها درويشي عبدي بعد مقتله. هذه الأغنية مرثية ملحمية غنّتها (عدوله) على فراق (دلال)ـها الذي مضى إلى حتفه سعيًا وراء الظفر بـ (جدائلها الطويلة المحنّاة). فهل تستحق (عدوله) هذا الحب العظيم كله وهذه التضحية الجسيمة؟ لنستمع إليها قبل إطلاق حكمنا عليها:

«...آه يا أماه،

---

[96] يُعرف هولاء المطربون باسم (dengbêj).

[97] إبراهيم اليوسف، «أغاني الإيزيديين وملاحمهم»، **ملحق جريدة النهار**، 23 آب/ أغسطس 2014:
https://newspaper.annahar.com/article/163957

سأقصّ ضفائري الطويلة، ضفائري المحنّاة

سأعمل فيهما المقص وأجعل منهما عصبة أشدّها على جبين دلال

وسأجعل من أطواقي الذهبية المحمودية رسنا ومقودا لحصانه

سأخلع زوج الخلاخيل من قدميّ و[سأخلع] خزام أنفي

وأجعلها حدوات ومسامير ناعمة لقوائم حصان (فارسي)

سأضع ركبتي على ركبة حبيبي، وأتحدّث إليه

وكلّما هاج قلبي، سأضغط بقوة لو وضعتها على المرمر لحفرت فيه عمق شبر وأربعة أصابع

سأجعل الدم القاني بين ركبتينا قطرانًا أسود...

سأفتح له تخوم صدري العاجي الأبيض وأبيح له حلالا

كحليب أمه...» [98].

[98] حنيف يوسف، (مترجم ومُعد)، دلال - ملحمة فلكلورية كردية، (دمشق، مطبعة الجاحظ، 1991)، ص 10-11.

تاسعًا: محطات في تاريخ الإيزيدية في سورية

بناءً على الأدلّة التاريخية المتوافرة بين أيدينا، فإنّه بالإمكان القول إنّ وجود الإيزيدية في شمال غرب سورية يعود إلى بدايات القرن الثالث عشر الميلادي [99]. ينقل ليسكو من كتاب (شرفنامه) للمؤرّخ الكردي شرف خان البدليسي: «...أن أميرًا كرديًا يُدعى مند اعترف له الأيوبيون بملكية قصير أنطاكية، التي كانت مأهولة حينها باليزيديين، وبالسيادة على أكرد جومه [وادي عفرين] وأكراد كلّس» [100]. ولما توفي هذا الأمير بقي حكم إمارة كلّس في أيدي أبنائه وأحفاده، يقول البدليسي: «... لما مات مند قام مقامه ابنه عرب بك، وبعده تولى ابنه المير جمال، ثم خلف هذا بعد وفاته ابنه أحمد بك. وفي عهد هذا الأمير انقضت أيام دولة بني أيوب وانتقلت دولتهم عظيمة الشأن إلى المماليك الجراكسة. ولم يخضع أحمد لدولة الجراكسة، وقضى أيامه حاكمًا مستقلّا إلى أن توفي عن ولدين هما: حبيب بك وقاسم بك» [101].

وبناء على ما ورد في هذا المقطع، يمكن أن نفترض أن حكم الأمير مند كان في بدايات القرن الثالث عشر، ذلك أنّ حفيده أحمد بك الذي كان الخليفة الثالث له شهد نهاية حكم دولة الأيوبيين في حلب عام 1260م [102]. كذلك يمكن أن نستنتج من التعارض الذي يقيمه شرف خان بين إيزيدية القصير والكرد المسلمين في جومه أنّ الإيزيدية في القرن الثالث عشر كانوا ينتشرون في القسم الجنوبي من وادي عفرين (جومه) بالقرب من غزاوية، بينما كان أبناء جلدتهم المسلمون يقطنون القسم الشمالي منه. غير أننا لا نجد في الـ (شرفنامه) أي ذكر للإيزيدية في جبل سمعان، ما يعني أن استيطانهم في تلك المنطقة قد جرى في عهد لاحق [103].

---

[99] روجيه ليسكو، ص 235-236. انظر أيضًا: Sebastian Maisel, p.7.

[100] روجيه ليسكو، المصدر السابق. يقول صاحب الـــ (شرفنامه) عن الأمير المذكور: «ومهما يكن (من اختلاف الرويات) فإنّ (مند) قد تمكّن في بادئ الأمر من جمع طائفة من الأكراد حوله، ورحل بهم إلى الشام ومصر، والتحق هناك بخدمة ملوك بني أيوب الذين أقطعوه ناحية (قصير) على مقربة من ولاية أنطاكية حيث توطّن بها مند وأتباعه في الشتاء. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إنّ جمعًا من الأكراد اليزيدية، الذين كانوا قاطنين في تلك الديار، من قبل، قد التفوا حول (مند) أيضًا، ممّا أفضى إلى علوّ شأنه وازدياد نفوذه يومًا فيومًا، وهرع إليه الأكراد من كل الجهات، وانضمّ إليه كذلك كل الأكراد القاطنين في جهتي (جوم) و(كليس). وقد عطف ملوك آل أيوب العظام على (مند) هذا فعيّنوه في منصب أمير أمراء الأكراد في محروستي الشام وحلب، وأطلقوا يده في حكم هؤلا الجماعة رتقًا وفتقًا، وقبضًا وبسطًا. وهكذا رفعوا مرتبته إلى أعلى المراتب الإدارية والعسكرية، وقد حدث في بادئ الأمر أن نازعه في هذا المقام السامي شيوخ (الأكراد) من اليزيدية المتشرين بين حماة ومرعش، فأفضى ذلك إلى امتشاق الحسام والمقاتلة أحيانًا، بيد أن (مند) تغلّب عليهم إذ جعلهم ينقادون له بالعنف واللطف، والقهر والإحسان حتى تمّ له ما أراد من خضوع جميع أكراد تلك الديار لحكومته المطلقة ...». انظر: شرف خان البدليسي، شـــرفنامه- تاريخ الدول والإمارات الكردية، محمد علي عوني (مترجمًا)، يحيى الخشـــاب (مُراجعًا ومُقدمًا)، ج1، ط1، (دمشـــق، دار الزمان، 2006)، ص224.

[101] شرف خان البدليسي، ص224.

[102] روجيه ليسكو، ص 236.

[103] المصدر السابق.

عندما آلت دولة الأيوبيين إلى المماليك أواسط القرن الثالث عشر، رفض أمراء كلّس الاعتراف بهم، وثاروا عليهم مرات عدة. لكن في نهاية المطاف عُزِلوا عن الإمارة، وأُسندت الإمارة إلى زعيم إيزيدي آخر يُدعى الشيخ عز الدين، وكان ذلك نحو سنة 1500م. وعندما فتح العثمانيون سورية بقيادة السلطان سليم الأول أبقوا على امتيازات هذا الأمير وحقوقه. لم يكن لهذا الأمير أي وارث يخلفه بعد وفاته، فاستغل ذلك حكّام كلّس السابقون واسترجعوا إمارتهم المسلوبة [104].

ابتداء من أواسط القرن السابع عشر بدأ احتكاك الأوروبيين بإيزيديي جبل الكرد من خلال الرحّالة والمبشرين المسيحيين. وقد أدّى الجهد التبشيري للآباء الكبوشيين إلى تعميد أفراد من الإيزيديين، غير أن الخلافات الداخلية بين الكبوشيين والكرمليين واليسوعيين حالت دون تعزيز العلاقة المسيحية الإيزيدية [105]. وتؤكّد روايات الرحّالة الأوروبيين أنّ أغلب الإيزيديين كانوا في ذلك الوقت رحّلًا متنقلين [106].

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حافظ إيزيديو جبل الكرد على نوع من الاستقلال السياسي، وكانت لهم خمسة إقطاعات كبيرات في غزاوية وباصوفان وقره باش وعرشي قيبار وقسطل جندو [107].

وعندما بدأ عهد الانتداب الفرنسي للمنطقة اختار الإيزيديون الوقوف مع الفرنسيين، وتطوّع بعضهم في (السرايا الخفيفة). وقد عيّنت سلطات الانتداب زعيم عرشي قيبار درويش شمو زعيمًا دينيًا للجماعة الإيزيدية في سورية. وفي عام 1928 راح درويش ضحية للانتقام، فخلّفه ابنه الشاب جميل آغا الذي كان قد تلقى بعض التعليم في المدرسة الأميركية في حلب [108]. وقد جرى في عهده أول إحصاء رسمي للإيزيديين في عام 1932، ومُنحوا بطاقات شخصية ذُكر فيها انتماؤهم الديني (سوري – يزيدي) وأحيانا كان يُضاف إليه الانتماء القومي أيضا (سوري – يزيدي – كردي) [109].

وبعد استقلال سورية، سُحبت منه صلاحياته كلها الدينية والدنيوية بحجة تعامله السابق مع الفرنسيين، فاضطر إلى أن يقضي حياته في العزلة والانزواء إلى أن توفي في عام 1972[110].

إنّ استقرار الإيزيدية في الجزيرة السورية أحدث عهدًا منه لدى إيزيدية جبل الكرد. ووفقًا للمصادر المتوافرة بين أيدينا، فإنّ أول ظهور لهم في منطقة الجزيرة كان في القرن الثامن عشر، عندما جاءت عشيرة شرقيان (شه رقان)، واستقرّت في

---

[104] المصدر السابق، ص237.

[105] Sebastian Maisel, p. 8.

[106] Ibid.

[107] روجيه ليسكو، ص238.

[108] روجيه ليسكو، ص239.

[109] محمد عبدو علي، ص116.

[110] محمد عبدو علي، ص116.

منطقة عامودا بالتزامن مع مجيء قبيلة الملّية (ملان) التي كانت هذه العشيرة -شرقيان- إحدى العشائر المنضوية تحت لوائها [111]. وبعد فشل ثورة الشيخ سعيد پيران في تركيا عام 1925 التجأت أعداد كبيرة من الإيزيديين إلى الجزيرة برفقة الجماعات المسلمة التي يرتبطون بها. وآثر هؤلاء العيش مع عشائرهم على الالتحاق بأبناء ملّتهم في عامودا، وابتنوا لهم عددًا من القرى في محيط القامشلي [112].

خاتمة

لا شك في أن الإيزيديين في سورية وعلى الأخص في منطقة جبل الكرد (كرد داغ) بسبب بعدهم عن المركز الروحي في منطقة الشيخان، وحرمانهم من تعلّم أصول دينهم في المدارس، وتناقص عدد رجال الدين الأكفياء، وتوقف جولات الطواويس (السناجق) بينهم منذ ما يربو على عقدين، قد ابتعدوا كثيرًا عن جوهر دينهم، ونسوا كثيرًا من مأثورهم الديني. فاحتلّت العادات والمعتقدات الشعبية المحلية حيّزًا مهما في حياتهم الدينية. وأصبح التبجيل والتقديس الذي يخصوّن به مزارات أوليائهم المحليين وما يرافق ذلك من ذبح للقرابين وتقديم للنذور أهمّ من الالتزامات الدينية المفروضة عليهم.

أضف إلى ذلك أن كثيرًا من العادات المتوارثة المتعلّقة بالمأكل والملبس والسلوك قد أخذت بالاختفاء في وقتنا الحاضر. وقد ترك الشباب الإيزيدي كثيرًا من المحظورات من قبيل حلق الشوارب وأكل الخس وغير ذلك من الأشياء. ليس هذا فحسب بل إن بعضهم تجاوز ذلك إلى الزواج من خارج دائرة الدين، الأمر الذي كان يُعدّ من أكبر (الكبائر) عند الإيزيدية ويكلّف فاعله تشهيرًا وطردًا من الدين [113].

وإذا كان كبار السن من الإيزيدية يعدّون «الهجرة إلى البلدان الأوروبية بمثابة البدء بعملية انتحار بطيء للطائفة» [114]، فهل بات الخطر يهدّد مستقبل أتباع (طاووسي مَلك) في سورية في ظل التزايد المطّرد للهجرة؟

---

[111] محمد عبدو علي، ص229. وكذلك شرف خان البدليسي، ص 225.

[112] روجيه ليسكو، ص237.

[113] نزار آغري، «تحريم زواجها من غير طبقتها يؤدي إلى العنوسة...»، **صحيفة الحياة**، العدد 14051، 4-9-2001، ص17، ملحق شباب.

[114] نزار آغري، «تحريم زواجها من غير طبقتها....».

المصادر والمراجع

1- المراجع باللغة العربية

1. البدليســـي. شـــرف خان، شـــرفنامه: تاريخ الدول والإمارات الكردية، محمد علي عوني (مترجم)، يحيى الخشاب (مُراجع ومقدم)، ط1، (دمشق: دار الزمان، 2006).
2. الخيّون. رشيد، الأديان والمذاهب بالعراق، ج1، ط1، (دبي: مركز المسبار للدراسات والأبحاث، 2016).
3. الدملوجي. صديق، اليزيدية، (الموصل: مطبعة الاتحاد، 1949).
4. الديوه جي. سعيد، اليزيدية، ط1، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003).
5. العبود. زهير كاظم، طاؤوس مَلك، (السليمانية، دار سردم للنشر والطباعة، 2005).
6. العزاوي. عباس، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، (بغداد: مطبعة بغداد، 1935).
7. باقسري. عز الدين سليم، مه رگه، ط1، (كردستان: مطبعة خبات، 2003).
8. بايزيدي. محمود، رسالة في عادات الأكراد وتقاليدهم، جان دوست (مترجمًا)، كاميران حوج (مراجعًا)، ط1، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث/كلمة، 2010).
9. بركات. مروان، عفرين عبر العصور، ط1، (حلب، دار عبد المنعم- ناشرون، 2008).
10. تيمور. أحمد باشا، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014).
11. جندي. خليل، الإيزيدية والامتحان الصعب، ط1، (أربيل: دار ئاراس للطباعة والنشر، 2008).
12. جويده. وديع، الحركة القومية الكردية- نشأتها وتطورها، مارتن فان برونسن (مقدم)، مجموعة مترجمين، تدقيق غزي برو، ط1، (بيروت، دار الفارابي، 2013).
13. جيجو. أمين، القومية الأيزيدية: جذورها، مقوماتها، معاناتها، (بغداد، 2010).
14. د.م، دلال (ملحمة فلكلورية كردية)، حنيف يوسف (مترجم ومعد)، (دمشق: مطبعة الجاحظ، 1991).
15. علي. محمد عبدو، الديانة الإيزيدية والإيزيديون في شمال غربي سورية، (عفرين: طبعة خاصة، 2007).
16. فرحان. عدنان زياد، الكرد الإيزيديون في إقليم كردستان، (السليمانية: منشورات مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، 2004).
17. الگوراني. علي سيدو، من عمان إلى العمادية، ط2، (أربيل: دار آراس للطباعة و النشر، 2012).
18. ليسكو. روجيه، اليزيدية في سورية وجبل سنجار، أحمد حسن (مترجمًا)، ط1، (دمشق: دار المدى، 2007).
19. ملا خليل. أحمد، من أذربيجان إلى لالش، خليل جندي (مترجم ومعلق)، ط1، (أربيل: مطبعة حجي هاشم، 2006).

المراجع بلغة أجنبية

1. Gorogas. Jordi Tejel, Le mouvement kurde de Turquie en Exil, (Bern : Peter Lang, 2007).
2. Maisel. Sebastian, Syria's Yezidis in the Kūrd Dāgh and the Jazīra, (The Muslim World, Volume 103, JANUARY 2013).
3. Açikyldiz. Birgül, Les Yézidis et le sanctuaire du Šeykh 'Adī, Mémoire de D.E.A. d'Histoire de l'Art Islamique, Tome I, (UNIVERSITÉ DE PARIS I PANTHÉON-SORBONNE, septembre 2002).
4. Tomas Bois, Connaissance Des Kurdes, (Beyrouth : khayats, 1965).
5. Habib Tawa, Les Yézidis, Revue des anciens de l'Inalco,) Paris, 2001).